آفاق الحضارة الاسلامية، اکادیمیة العلوم الانسانیة و الدراسات الثقافیة
السنة الرابعة عشرة، العدد الاول، ربیع و صیف ١٤٣٢هـ.ق، صص ٤٧ ـ ٥٩

دراسة قصیدة «الفوز و الأمان فی مدح صاحب الزمان»

السید أبوالفضل سجادی*

إبراهیم أناری بزچلوئی**

المستخلص

یعتبر الشیخ البهائی من کبار العلماء و الأدباء فی العالم العربی و الإسلامی، و قد أَلَّف تالیفات قیمة فی مختلف المجالات. أجاد البهائی اللغتین العربیة و الفارسیة بحیث کان یقرض الشعر فیهما، من أشهر قصائده العربیة قصیدة «**الفوز و الأمان فی مدح صاحب الزمان**» و التی خصَّصها بمدح الإمام المهدی(عج)، فی ثلاثة و ستین بیتاً. الملفت للنظر فی هذه القصیدة أنَّ الشاعر لم یخرج عن الإطار التقلیدی و عمود الشعر العربی القدیم و بعد أن یأتی بمقدمة غزلیة و فخریة یدخل الغرض الرئیس و هو مدح الإمام(عج) و یورد فیها مبادئ الشیعة الاثنا عشریة و ینهیها بالفخر بنفسه و شعره.

الکلمات الرئیسة: القصائد العربیة، الإمام المهدی(عج)، أعیان الشیعة، الشیخ البهائی، المدح.

المقدمة

الشیخ بهاء الدین محمد بن الحسین بن عبد الصمد بن محمد بن علی بن الحسین بن صالح الحارثی الهَمْدانی العاملی الجبعی. و«الحارثی الهمْدانیُّ» نسبة إلی الحارث الهمْدانیِّ صاحب أمیر المؤمنین علی(ع)، و «الهَمْدانیُّ» نسبة إلی همْدان، القبیلة العربیة المشهورة، و هم حیٌّ من الیمن (الأمین، محسن، ١٤٠٣ هـ.ق: ج ٩/ ص٢٣٤).

قال الإمام علی(ع) فی هذه القبیلة:

جَزَی اللهُ همدانَ الجِنانَ فإنَّهم سِمَامُ العِدی فی کلِّ یومِ خِصام[١]

* استاذ مساعد بجامعة أراک a-sajady@araku.ac.ir

** استاذ مساعد بجامعة أراکi-anari@araku.ac.ir

تاریخ الوصول: ٨٩/٨/٢٢، تاریخ القبول: ٩٠/١/٢٠

أُنــاسٌ يُحِبُّــونَ النبــيَّ و رَهطَــهُ سِــراعٌ إلــى الهَيجــاء غيــرَ كَهَــامِ[٢]
إذا كنــتُ بوَّابــاً علــى بــاب جنَّــة أقــولُ لهمْــدان ادخلــوا بسَــلامِ

(الأعلمی، ١٤١٩هـ.ق: ص ١٣٠)

و أقدمُ مصدر لأحوال الشيخ البهائیِّ هو كتاب «سلافة العصر» للسيد عليخان المدنیِّ، حيث قال: مولده بعلَبکَّ عند غروب الشمس يوم الأربعاء لثلاث بقين من ذی الحجَّـة الحـرام سـنة٩٥٣هــ.ق (المدنی، ١٤٢٤هـ.ق: ص ٢٩٠). و قال فی كتابه «الحدائق الندية فی شرح الفوائد الصمديَّة»: مولـده عند غروب الشمس يوم الأربعاء سابع عشرذی الحجَّة سنة ثلاث و خمسين و تسعمائة، كذا نقلته من خطِّ والده[٣].(المدنی، ١٣٨٧هـ.ش: ص٢)

و ينقل العلَّامة السَّيِّد محسن الأمين فی كتاب «أعيان الشيعة» قول بعض العلماء: أمَّـا القـول بأنَّه ولد فی بعلبک فبعيدٌ عن الصواب، بل هو خطأ محض ... و الروايات تكاد تؤيد القـول بأنَّـه وُلد فی آمل الإيرانية الكائنة على طريق مازنـدران. (الأمـين، ١٤٠٣هــ.ق: ج ١١/ ص٢٣٧) و توفِّی فی إصفهان فی ١٢ شوال سنة ١٠٣١هـ.ق على أرجح الأقـوال. (الأمينـی، ١٣٩٧هــ.ق: ج١١/ ص٢٨٠)، و نقل قبل الدفن إلى مشهد الرضا(ع) و دفن هناک فی داره بجانـب الحضـرة المقدسة الرضويَّة، و قبره هناک مشهور يزار إلى اليوم.

يقول تلميذه الفاضل المحدِّث الورع التقیُّ القدسیُّ المجلسیُّ: و سـمع قبـل وفاتـه بسـتَّة أشهر صوتاً من قبر بابا ركن الدين[٤] (قدِّس سرُّه) فكنت قريباً منه، فنظر الينا، و قال: سـمعتم ذلک الصوت؟ فقلنا: لا، فاشتغل بالبكاء و التضرُّع و التوجُّـه إلـى الآخـرة، و بعـد المبالغـة العظيمة قال: إنَّه أُخبرتُ بالاستعداد للموت، و بعد ذلک بستَّة أشهر تقريباً تُوفِّی رحمه الله، و تشرَّفتُ بالصلاة عليه مع جميع الطلبة و الفضلاء و كثيـر مـن النـاس يقربـون مـن خمسـين ألفاً.(العلامة الخوانساری، ١٣٩٢هـ.ق: ج٧/ ص٧٨)

أقوال العلماء فيه

يقول العلَّامة الأمينی فی حقه: شيخ الإسلام بهاء الملَّة و الدين، و أُستاذ الأساتذة و المجتهدين ... و العارف البارع و المؤلِّف المبدع و الأديب الشاعر، و الضليع من الفنون بأسرها، فهو أحد نوابـغ الأمة الإسلامية. (الأمينی، ١٣٩٧هـ.ق: ج١١/ ص ٢٤٦)

و قال السَّيِّد مصطفى التفريشی فی«نقد الرجال»: جليل القدر، عظيم المنزلة، رفيع الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه و وفور فضله و علو مرتبته أحداً فی كـلِّ فنـون الإسـلام كمن كان له فن واحد، له كتب نفيسة جيدة. (التفريشی، ١٤١٩هـ.ق: ج٤/ ص١٨٦)

و قال السَّيِّد علی خان فی السلافة: علم الأئمة الأعلام، و سيِّد علمـاء الإسـلام، و بحـر العلم المتلاطم بالفضائل أمواجه و فحل الفضل الناتجة لديه أفراده و أزواجه، و طود المعارف الراسخ، و فضاؤها الَّذی لاتحدُّ له فراسخ، و جوادها الَّذی لايؤمل له لحاق، و بـدرها الَّـذی لايعتريه محاق، الرحلة الَّتی ضربت إليها أكباد الإبل، و القبلة الَّتی فطر كلُّ قلب علی حبِّهـا، فهو علامة البشر و مجدِّد دين الأئمة علی رأس القرن الحادی عشر ... فما من فـنٍّ إلا و لـه فيه القدح المعلی و المورد العذب المحلّی، إن قال لم يدعْ قولاً لقائل، أو طال لم يأت غيـره بطائل. (المدنی، ١٣٢٤هـ.ق: ص٢٩٠). و جـاء فـی ريحانـة الأدب: شـيخ الفقهـاء، أسـتاد الحكماء، رئيس الأدباء، علَّامة الدهر، فهَّامة العصر، شـيخ الاسـلام و المسـلمين، ... مفسِّـر، رياضیٌّ، حكيم متكلِّم، أديب أريب، شاعر ماهر. (المدرس التبريزی، ج٣/ ص٣٠١). و هناک كثير من الأقوال فی حقِّ هذا العالم الجليل، ندعُها احترازاً من إطالة الكلام.

مشايخه و أساتذته

إنَّ رحلات الشيخ البهائیِّ لاقتناء العلوم ردحاً من عمره، و أسفاره البعيدة إلی أصقاع العـالم دون ضالَّته المنشودة، و تجوُّله دهراً فی المدن و الأمصار وراء أمنيته الوحيدة، و اجتماعه فی الحواضر الإسلامية مع أساطين الدين، و عباقرة المذهب و أعلام الأمَّة، و أساتذة كلِّ علم و فـن، و نوابـغ الفواضل و الفضائل، تستدعی كثرة مشايخه فی الأخذ و القراءة و الرواية، غير أنَّ المـذكور مـنهم فی غضون المعاجم، (الأمينی، ١٣٩٧هـ.ق: ج١١/ ص٢٥٠)

١. الشيخ والده المقدس الحسين بن عبد الصمد.
٢. الشيخ محمد بن محمد بن أبی اللطيف المقدسی الشافعی.
٣. الشيخ المولی عبد الله اليزدی المتوفی سنة ٩٨١.
٤. الشيخ احمد الكجائی[٥] المعروف ببير أحمد.

تلامذته

للشيخ تلامذةٌ كبارٌ و شخصياتٌ مشهورةٌ، حيث يلاحظ بينهم أجلَّة العلماء و الفضلاء منهم:

١. الشيخ حسين بن علی بن محمد الحرِّ العاملی المتوفی ١١٠٤ هـ.ق
٢. الملا محسن الفيض الكاشانیُّ المتوفی سنة ١٠٩١ هـ.ق
٣. محمد تقی المجلسی المتوفی ١٠٧٠ هـ.ق

مؤلَّفاته

بالرغم من أسفاره الطويلة و مناصبه التنفيذيَّة و أعماله العمرانية و المبانی الضخمة التذكاريـة الَّتی شيَّدها فی كبريات المدن، ألَّف و صنَّف فی العلوم المختلفة ما يقرب مـن مائـة كتـاب، و منها:

١. العروة الوثقی فی التفسير.
٢. الجامع العباسی فی الفقه.
٣. رسالة فارسية فی الاسطرلاب.
٤. رسالة عربية فی الاسطرلاب.
٥. حاشية علی تفسير البيضاوی.
٦. حاشية علی خلاصة الأقوال.
٧. عين الحياة فی التفسير.
٨. تشريح الافلاک.
٩. حلُّ حروف القرآن.
١٠. رسالة فی المواريث.
١١. حاشية علی المطول.
١٢. أسرارالبلاغة.
١٣. الكشكول.
١٤. بحر الحساب.
١٥. لغز النحو.
١٦. خلاصة الحساب.
١٧. الفوائد الصمدية.
١٨. ديوان الشعر.

شعره

للشيخ البهائی شعر كثير بالعربيَّة و الفارسيَّة، و من أشعاره الفارسيَّة مثنوی نان و حلوا (الخبز و الحلوی)، شير و شكر (الحليب و السكر)، نان و پنير (الخبز و الجبن).

قصیدة الفوز و الأمان فی مدح صاحب الزمان(عج)

مقدمة غزلیة

و من أشهر أشعاره العربیة قصیدة «**الفوز و الأمان فی مدح صاحب الزمان (عج)**» فی ثلاثة و ستین بیتاً من البحر الطویل، (الأمین، ۱٤۰۳هـ.ق: ج۹/ ص۲٤٥ و ۲٤٦). و نقسِّمها إلی سبعة أقسام: القسم الأول یتکوَّن من عشرة أبیات یتکلَّم الشاعر فیه عن البرق و نجد و أصدقائه و الشکوی من الدهر، و فی القسم الثانی الذی یشمل ستة أبیات یقول الشاعر إنَّه یقوم بما یفعل بقیة الناس رغم أنَّه أفضل منهم، و أما القسم الثالث و هو یشتمل علی عشرة أبیات فیفتخر الشاعر فیه بنفسه و بأعماله، و فی القسم الرابع الذی یتکون من خمسة أبیات یهیئ نفسه و المخاطب لکی یدخل الغرض الرئیس و هو مدح الإمام(عج)، و من البیت الثانی و الثلاثین یبدأ القسم الخامس من القصیدة و فیه یمدح الإمام(عج)، و یتحدَّث عن صفاته و مقامه و علمه (عج)، و فی القسم السادس و هو ثلاثة عشر بیتاً یخاطب المهدی (عج) و یطلب إلیه بأن یقوم و یخلِّص المؤمنین من الظلم و الظالمین و یتکلَّم عن صفات أنصاره و أعوانه، و یختتم القصیدة فی القسم السابع فی خمسة أبیات حین یتکلم عن شعره و یفتخر به.

القسم الأول: مقدمة غزلیة

یستهلُّ الشیخ البهائی هذه القصیدة بتقلید القدامی بمقدمة یمکن أن نسمِّیها مقدمة غزلیة و یتکلَّم عن نجد و برق و تذکُّر الذکریات و من أنَّ ومیض البرق أشعل نار الحب فی قلبه، و یواصل کلامه بذکر الأزمنة و الأمکنة مثل (حزوی و العذیب و ذی قار)، کأنَّه کانت للشاعر ذکریات فیها، ثمَّ یدعو بأن یسقیها الله، و یتکلَّم عن الجیران الذین کانت خیامهم بمنطقة المازمین و یسلِّم علیهم.

سَرَی البرقُ مِن نَجَدٍ فهیَّجَ تَذْکَاری ... عهوداً بحزوی و العذیب و ذی قاری[٦]

و هَیَّجَ مِن أشواقنا کلَّ کامنٍ ... و أجَّجَ فی أحشائنا لاهب النارِ[٧]

ألا یا لُیَیْلَات الغویر و حاجرٍ ... سُقِیتَ بهَطَّال مِن المُزن مِدرارِ[٨]

و یا جیرةً بالمازمین خیامُهم ... علیکم سلامُ اللهِ مِن نازح الدارِ[٩]

شکوی الدهر و الفخر بنفسه

ثمَّ یشکو البهائی الدهر مخاطباً الأصدقاء بتقلید القدامی، و باستخدام الصور البیانیة التی منها الاستعارة المکنیة یقول: لِمَ یطالبنی الزمان فی کلِّ وقت بأن ینتقم منِّی، و یقول مستفیداً من

المجاز العقلی: إنَّ الزمان أبعد أصدقائی و غيَّر صفو عيشی، و يتابع الشاعر شكوی الدهر و يقول: إنَّ الزمان عادَلَ بی من لايمكن له أن يصل إلی عُشر عُشر فضائلی، ثمَّ باستخدام الاستعارة المكنية و الاستفهام التقريری يقول: ألم يعلم الدهر بأنّی لا أذلُّ لحوادث الدهر و إن كانت عظيمة و شديدة، لأنَّ مقامی أفضل من نجمی الفرقدين، و بالاستفادة من أسلوب الاستفهام الإنكاری يقول: فأیُّ شئ يؤثِّر فی خفض مقداری، و يختتم هذا القسم بالفخر و باستخدام صنعة التشخيص، حيث يقول: لايدرک الدهر غايتی، و لايمكن لأیِّ شخص أن يفهم أسراری:

خليلیَّ ما لی و الزَّمانَ كأنما ... يُطالبنی فی كلِّ وقتٍ بأوتارِ
فأبعدَ أحبابی و أخلَی مرابعی ... و أبدَلنی من كلِّ صفوٍ بأكدارِ
و عادلَ بی مَن كانَ أقصی مرامِه ... مِن المجد أن يسْمُوَ إلی عُشْرِ مِعشاری[١٠]
أ لم يدْرِ أنّی لا أذلُّ لِخَطبه ... و إن سامَنی خسفاً و أرخصَ أسعاری[١١]
مقامی بفرق الفرقدين فما الذی ... يُؤثِّره مسعاه فی خفضِ مقداری
و إنّی امرؤٌ لا يدركُ الدهرُ غايتی ... و لاتصلُ الأيدی إلی سرِّ أغواری[١٢]

القسم الثانی: مماثلته الناس

يقول الشاعر فی القسم الثانی من القصيدة: إنَّه رغم فضائله يخالط الناس بقدر عقولهم لئلا ينكروه و لذلک يظهر بأنَّه يخاف حوادث الدهر و يسرُّ بيسر و يساء بعسر و يهوی العذاری شأن الناس، و يبكی علی الأطلال و الآثار الباقية من ديار المعشوقة، و الملاحظ أنَّ أسلوب الشاعر فی عرض أفكاره استخدام الجمل الخبرية بعضها غير مؤكَّدة و بعضها مؤكَّدة بأداة التوكيد، و نری فيها الإطناب، و بعض الصور البيانية كالاستعارة المكنية، مثل: «و يُضْجِرنی الخطبُ المَهولُ لقاؤُه».

أخالِطُ أبناءَ الزمان بمقتضی ... عقولهم كی لا يَفُوهُوا بإنكاری
و أُظهرُ أنّی مثلُهم تستفزُّنی ... صروفُ الليالی باحتلاءٍ و إمرارِ[١٣]
و إنّی ضاوی القلبِ مستوفزُ النُّهی ... أُسَرُّ بيُسرٍ أو أمَلُّ بإعساری[١٤]
و يُضْجِرنی الخطبُ المَهولُ لقاؤُه ... و يُطربُنی الشادِی بعُودٍ و مزماری[١٥]
و تُصمی فؤادی ناهدُ الثدی كاعبٌ ... بأسمرَ خطَّارٍ و أحورَ سحَّارِ
و إنّی سخی بالدموع لوقفة ... علی طَلَلٍ بالٍ و دارسِ أحجارِ[١٦]

القسم الثالث: الفخر بنفسه

يفتخر الشاعر فی القسم الثالث بنفسه و أعماله و فكره مستخدماً الصور البيانية بكثرة، و يقول: إنَّ

المصائب المتتابعة لاتُخيفنی و لا تدمِّر جبل صبری الشامخ، و أستقبل الخطوب الشديدة بقلب وقور و وجه بشاش و صدر رحيب، و لاأُظهر هذه الشدائد لكی لا يحزن الصديق و الجار، ثمَّ يتكلَّم الشاعر عن مقامه العلمی و يقول: إنَّ المسائل العلمية الغامضة التی ما استطاع العلماء أن يحلُّوا رموزها حللتها و أجبت عنها. و نشاهد فی هذا القسم من القصيدة أنواع الاستعارات مثل التصريحية فی «معضلة دهماءَ» و «يحجمُ عن أغوارها كلُّ مغوار» و «أجَلْتُ جيادَ الفكر فی حَلَبَاتِها» و «أبرزتُ منَ مستورها كلَّ غامض»، و المكنية مثل: و خطبٍ يُزيلُ الروعَ أيسرُ وقعه. إنَّ الشاعر فی هذا القسم من الأبيات يتكلَّم كثيراً عن نفسه و أعماله، و إذا نظرنا إلی آثاره القيمة و أعماله الضخمة التی قام بها حكمنا بأنَّ ما جاء به فی الأبيات حقيقة بحتة خاليةٌ من الغلو و المبالغة، و وجدنا الشاعر صادقاً فی ما يقول:

و ما علموا أنّی امرؤٌ لا يَروعنی ... تَوَالی الرزايا فی عَشیٍّ و إبكارِ[١٧]
إذا دُكَّ طَودُ الصبرِ مِن وَقْعِ حادثٍ ... فطودُ اصطباری شامخٌ غيرُ مُنهارِ[١٨]
و خطبٍ يزيلُ الروعَ أيسرُ وقعه ... كؤودٍ كوخزٍ بالأسنةِ سعَّارِ[١٩]
تلقَّيتُه و الحتفُ دونَ لقائِهِ ... بقلبٍ وَقُورٍ فی الهزاهز صبَّارِ[٢٠]
و وجهٍ طليقٍ لا يُمَلُّ لقاؤُه ... و صدرٍ رحيبٍ فی ورودٍ و إصدارِ
و لم أُبْدِه كی لا يُساءُ لوقعه ... صديقی و يأسَی من تعسُّرِه جاری[٢١]
و معضلةٍ دهماءَ لا يهتدی لها ... طريق و لا يهدی إلی ضوئها الساری
تشيبُ النواصی دونَ حلِّ رموزها ... و يحجمُ عن أغوارها كلُّ مِغوارِ[٢٢]
أجَلْتُ جيادَ الفكر فی حَلَبَاتِها ... و وَجَّهْتُ تِلقاها صوائبَ أنظاری[٢٣]
فأبرزتُ من مستورها كلَّ غامض ... و ثَقَّفتُ منها كلَّ قَسْور سوَّارِ[٢٤]

القسم الرابع: التمهيد للغرض الرئيس

و يهيِّئ الشيخ العاملی نفسه و المخاطب فی القسم الرابع لكی يدخل الغرض الرئيس، و هو مدح الإمام(عج) و يبدأ الشيخ البهائی هذا القسم بالاستفهام الإنكاری، و يقول: لن أخضع أمام المصائب و لن أرضی بشیء حقير و لن أفرح بلذة ساعة، ثمَّ يدعو علی نفسه، و يقول: إذا رضيت بهذه الأشياء فلا عزَّ جانبی و لاطلع قمری و لافازت يدی بالجود و السماح و لاانتشرت أخباری و أحاديثی و فضائلی و لاكانت أشعاری الرائقة فی المهدی(عج)، نری فی هذا القسم أنواع الكنايات فی سياق الجمل الدعائية مثل: «لا وَرَی زندی» و «لاعزَّ جانبی» و «لابزغتْ فی قمَّة المجد أقماری» و «لابلَّ كفی بالسماح» و «لاسرتْ بطيبٍ أحاديثی الركاب و أخباری»

و «لاانتشرت فی الخافقین فضائلی» و «لاکان فی المهدی رائقُ أشعاری» و کلها کنایة عن عدم شهرة الشاعر.

أ أضرعُ للبلوی و أُغضی علی القَذَی — و أرضَی بما یرضَی به کلُّ مِخْوارِ[٢٥]
و أفرحُ مِن دهری بلذَّة ساعةٍ — و أقنعُ من عیشی بقرصٍ و أطمارِ[٢٦]
إذاً لا وَرَی زندی و لا عزَّ جانبی — و لابزغتْ فی قمَّة المجد أقماری[٢٧]
و لا بلَّ کفی بالسماح و لا سرتْ — بطیب أحادیثی الرکَّاب و أخباری
و لا انتشرت فی الخافقین فضائلی — و لا کان فی المهدی رائقُ أشعاری[٢٨]

القسم الخامس: مدح الإمام(عج)

یبدأ الشاعر فی القسم الخامس بالغرض الرئیس و هو مدح الإمام المهدی(عج) و من الطبیعی أن یکون معظم القصیدة، و هو فی هذا القسم یعرِّف الإمام(عج) بأنَّه خلیفة الله و ظلُّه علی ساکنی الأرض، و فیه إشارة إلی حدیث النبی(ص): «إنَّ خلفائی و أوصیائی و حجج الله علی الخلق بعدی اثنا عشر أولهم علیٌ و آخرهم مهدیٌ». (العلامة المجلسی، ١٤٠٣هـ.ق: ج٣/ ص١٠٨). و یقول الشاعر علی سبیل التشبیه البلیغ: هو العروة الوثقی الذی من تمسَّک به لایخشی الذنوب العظیمة، و فیه إشارة إلی الآیة: (**وَمَن یُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَی اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَی وَإِلَی اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور**) [لقمان/٢٢]، و الآیة: (**فَمَنْ یَکْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَیُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَیٰ**) [البقرة/٢٥٦].

یعتقد الشیخ البهائی ککلِّ شیعی بأنَّ الله سبحانه و تعالی أعطی الأئمة المعصومین(ع) قدرة لامنتهی لها، و یقول: لو أراد المهدی(عج) لأنطق کلَّ شیء، و یشیر إلی علم الإمام الکثیر و یقول: علوم الخلق فی جنب علمه کقطرة من البحار، ثمَّ یتابع الشاعر بأنَّ أفلاطون لو استطاع أن یزور الإمام(عج) لرأی حکمة قدسیة لایشوبها شیء. و یعرِّف الشاعر الإمام(عج) بأنَّه صاحب سرِّ الله فی الکون، و به یسمو و یعتلی العالم السفلی علی العالم العلوی، و لو توافقت السموات السبع الطباق علی نقض حکم الإمام(عج) لهدِّمت و سکنت کلُّ دوَّار من الدور و انتشرت الکواکب و توقَّفت عن الحرکة.

من حیث الصور البیانیة نشاهد فی الأبیات الکنایةَ «خلیفة ربِّ العالمینَ و ظلُّه» و «من بذیله تمسَّک» و التشبیه البلیغ «هو العروةُ الوثقی» و التشبیه المرسل المجمل «علومُ الوری فی جنب أبحر علمِه کَغَرْفَة کفٍّ أوکغَمْسَة منقار» و التشبیه المؤکد الذی أضیف المشبه به إلی المشبه «طودُ النهی» و الغرض منها بیان حال المشبه، و الاستعارة بنوعیها التصریحیة و المکنیة «لاذَ الزمانُ

بظلّه» و «ألقی إلیه الدهرُ مقودَ خوّار» و«لو کلّفَ الصُّمَ نطقَها» «فاهتْ إلیه بأجذار» و «لو السبع الطباقُ تطابقتْ».

یمکن القول إنَّ عاطفة الشاعر فی الإتیان بهذه المعانی و المفاهیم صادقة تماماً، و بذلک خالف مبادئ النقد القدیمة التی ترى أن أعذب الشعر أکذبه و کأنَّه قال ما یقول به النقاد المعاصرون قبل قرون إنَّ أعذب الشعر أصدقه؛ لأنَّ ما جاء به الشاعر هو وفق الأحادیث و بعض الآیات القرآنیة، لذلک أثَّرت الأبیات علی المتلقی تأثیراً کثیراً.

خلیفةُ ربِّ العالمینَ و ظلُّه — علی ساکنی الغبراء مِن کلِّ دیار
هو العروةُ الوثقی الَّذی من بذیله — تَمَسَّکَ لا یخشَی عظائمَ أوزار
إمامُ هدًی لاذَ الزمانُ بظلِّه — و ألقی إلیه الدهرُ مقودَ خوَّار[۲۹]
و مقتدرٌ لو کلَّفَ الصُّمَ نطقَها — بأجذارها فاهتْ إلیه بأجذار[۳۰]
علومُ الوری فی جنب أبحر علمِه — کَغَرْفَة کفٍّ أو کغَمْسَة منقار
فلو زارَ افلاطونُ أعتابَ قدسه — و لم یُعْشِهِ منها سواطعُ أنوار[۳۱]
رأی حکمةً قدسیةً لا یَشوبها — شوائبُ أنظار و أدناسُ أفکار[۳۲]
بإشراقها کلُّ العوالم أشرقت — لما لاحَ فی الکونین من نورها الساری
إمامُ الوری طوُد النهی منبعُ الهدی — و صاحبُ سرِّ الله فی هذه الدار
به العالمُ السفلی یسمو و یعتلی — علی العالم العُلوی من غیر إنکار
و منه العقول العشر تبغی کمالها — و لیس علیها فی التعلم من عار
همامٌ لو السبع الطباقُ تطابقتْ — علی نقض ما یقضیه من حُکمه الجار
لَنَکَّسَ من أبراجها کلَّ شامخٍ — و سَکَّنَ من أفلاکها کلَّ دوار
و لانتثرتْ منها الثوابتُ خِیفةً — و عافَ السُّری فی سورها کلُّ سیار

القسم السادس: حث و استنهاض

أما فی القسم السادس فنری أنَّ الشاعر یدعو الإمام بأن یقوم و یغیث دین الإسلام الذی لم یبق منه إلا الاسم و هو إشارة إلی حدیث النبی(ص): سیأتی علی أمتی لم یبقَ من الاسلام الا إسمه ومن القران الا رسمه. (القرطبی، ۱۴۰۵هـ.ق: ج۱۲/ ص۲۸۰) و یدعوه بأن ینقذ القرآن من ید جماعة یمیلون عن آیاته لروایة رواها الواضعون و الجاعلون، و یخاطب الإمام(عج) بأن ینعش قلوب المؤمنین التی قرِّحت فی انتظاره، ثمَّ یشیر إلی هذا الحدیث النبوی: «تملأ الأرض ظلماً و جوراً فیقوم رجل من عترتی فیملأها قسطاً و عدلاً» (الشیخ صدوق، ۱۴۱۸هـ.ق: ص ۳۹ و ۴۰)

و يقول مخاطباً المهدی(عج): خلِّص عباد الله من ظلم الظالمين و الكافرين، ثمَّ نـراه يشـير إلـی أعوان الإمام و أنصاره(ع) و يقول: أكرم أعوان الإمام هم الفتيان مـن بنـی همـدان يعنـی قبيلـة الشاعر، و يصفهم بأنَّهم الأبطال الشجعان الذين يخوضون غمـار الحـرب و لا يخـافون شـيئاً و يخافهم الأعداء.

إنَّ المعانی التی جاء بها الشيخ البهائی فی هذه الأبيات هی أحاديث المعصومين(ع) بالنسـبة إلی المهدی(عج)، فكلُّ ما تكلَّم عنه الشاعر حقيقةٌ و لا شكَّ فيه، و أسلوبه فی عرض الأفكـار يتراوح بين الخبر و الإنشاء «يحيدون عن آياته» و «فـی الـدين قـد قاسُـوا» و «أغـثْ حـوزةَ الإسلام» و «خلِّص عبادَ الله». و من حيث الصور البيانية فيها التشبيه المؤكد نحو:«خبطوا بآرائهم تخبيط عشواء معشار» و بعض الاستعارات المكنية و التصريحية، نحو: «يـا مَـن مقاليـدُ الزمـان بكفِّه» و «يحيدون عن آياته» و «أنْعِشْ قلوباً فی انتظارک قُرِّحَتْ» و«يخوضون أغمارَ الوغی»، فبما أنَّ عاطفة الشاعر كانت صادقة فلا شكَّ فی تأثيرها علی المخاطب.

أيـا حجَّةَ الله الَّـذی لـيسَ جاريـــاً ... بغيـر الّـذی يرضـــاه سـابقُ أقـدار
و يـــا مَـــن مقاليـــدُ الزمـــانِ بكفِّـــه ... و ناهيک من مجد به خصَّه البـاری[٣٣]
أغثْ حوزةَ الاسلام و اعمُـرْ ربوعَـه ... فلم يبـقَ منهـــا غيـــرُ دارسِ آثـــار
و أنقـذْ كتـابَ الله مِـــن يـد عصبـــةٍ ... عصَـوا و تمـادَوا فـی عتوٍّ و إصـرار
يحيـــدون عـــن آياتـــه لروايـــةٍ ... رواها أبو شعيون عن كعـب أحبـار[٣٤]
و فی الدين قد قاسُوا و عاثُوا وخبَّطوا ... بـآرائهم تخبـيط عشـواء معسـار[٣٥]
و أنْعِشْ قلوباً فـی انتظـارک قُرِّحَـتْ ... و أضْجَـرها الأعـداءُ أيَّةَ إضجـار[٣٦]
و خلِّص عبادَ الله مـــن كـلِّ غـاشمٍ ... و طهِّـرْ بـلادَ الله مـن كـلِّ كفـار[٣٧]
و عجِّل فـداک العـالمونَ بـأسرهم ... و بادرْ علی اسم الله مِـن غيـر إنظـار
تجـدْ مِـن جنـود الله خيـرَ كتائـب ... و أكـرمَ عـوانٍ و أشـرفَ أنصـار
بهم مِـن بنـی همـدان أخلـصُ فتيـة ... يخوضون أغمارَ الـوغی غيـرَ فكَّـار
بكـلِّ شـديد البـأس عَبْـلٍ شَـمَرْدَلٍ ... إلی الحتف مقدامٍ علی الهول صـبَّار[٣٨]
تحـاذره الأبطـالُ فـی كـلِّ موقـفٍ ... و ترهبـه الفرسـانُ فـی كـلِّ مضـمار

القسم السابع: الإهداء مع الفخر بشعره

فی القسم السابع و هو يشتمل علی خمسة أبيات، يرجع الشاعر إلی الفخر بشعره، و يقول مخاطباً الإمام(عج): اقبل هذه القصيدة التی هی كدُرٍّ عقود علی ترائب الآنسـات، القصـيدة التـی يفـرح

الشعراء الكبار مثل ابن هانی و أبی تمام و البشار أن يأتوا بمثلها، و هی أفضل من رائحة الأزهار و الورود و من نسمة الأسحار، و إن يقبلها المهدی(عج) كانت كالحديث الذی لا يملُّ تكراره.

يستفيد الشيخ البهائی فی هذا القسم لعرض أفكاره من التشبيه أكثر من بقية الصور الخيالية كالتشبيه المرسل المجمل فی« مدحة كدر عقود» و «يزفها كغانية»، و التشبيه المرسل المفصل نحو «كأنها أحاديث نجد لاتمل بتكرار» و الغرض منها بيان حال المشبه قائلاً:

أيا صفوةَ الرحمنِ دونَک مدحةً ... كدرٍّ عقود فی ترائب أبكارِ[٣٩]

يهنِّئ ابن هانی أن أتی بنظيرها ... و يعنو لها الطائی من بعد بشارِ

إليک البهائی الحقيرُ يزفُّها ... كغانية ميَّاسَةِ القدِّ مِعطارِ[٤٠]

تُغار إذا قِيسَتْ لطافةُ نظمها ... بنفحة أزهار و نسمة أسحارِ

إذا رددتَ زادتْ قبولاً كأنها ... أحاديثُ نجدٍ لا تُمَلُّ بتكرارِ

النتيجة

بعد دراسة القصيدة خلصنا إلى أنَّ أسلوب الشيخ البهائی هو أسلوب الشعراء القدماء الذين كانوا يبتدئون أشعارهم بمقدمة غزلية تقليدية، ثمَّ يدخلون الغرض الرئيس. ولم يجتز البهائی الشعراء القدامی و لذلک عمد إلى المدح و الفخر و قد أطال فيهما كفعل التقليديين، و إنه يری نفسه أفضل من الشعراء الكبار فی العصر العباسی، و يتحدَّث فيها عن صفات الإمام(عج) و تفقُّده الناس، ثمَّ يشير إلى الخطوب التی أصابت المسلمين، و يدعو أن يقوم الإمام حتَّى يُنجيهم منها، و يعتقد أنَّ أفضل أعوانه من بنی همدان و تنتهی القصيدة بالفخر. أما الأفكار الموجودة فی القصيدة فی مدح الإمام(ع) فهی: ١. إنَّ المهدی(عج) خليفة الله و ظله ٢. هو العروة الوثقی ٣. إنَّ مفتاح الكون بيد الإمام(عج) ٤. إنَّ عند الإمام لعلماً لا منتهی له ٥. يستنير العالم بنوره(عج) ٦. المهدی(عج) صاحب سرِّ الله فی العالم ٧. إنَّ الإمام(عج) لينجی المؤمنين من الظالمين ٨ أفضل أعوان الإمام(عج) من قوم الشيخ البهائی.

الهامش

١. السمام: جمع السُّم.

٢. كهام: بطيئون لاخير فيهم.

٣. يبدو أنَّ تاريخ سابع عشر غير صحيح و الصحيح سابع و عشرون، و ربَّما هذا التحريف من النقل أو من الكتابة.

٤. كان من العرفاء بأصفهان.

٥. قرية من بلاد كيلان.
٦. السرى: سير عامة الليل، حزوى: اسم موضع من مواضع الدهنا من ديار تميم، العذيب: تصغير عذب اسم، ذو قار: موضع بين الكوفة و واسط.
٧. أجج: أشعل.
٨. لييلات: جمع لييلة تصغيير ليلة و إنما صغرها للتقليل، لأن أوقات السرور تخال قصيرة كما أن أوقات الهموم تخال طويلة، الغوير: تصغير غار و هو اسم ماء لبنى كلب، الحاجر: منزل للحجاج بالبادية، المزن: السحاب.
٩. الجيرة: جمع جار، النازح: البعيد.
١٠. المرام: مصدر رامَ يَرُومُ: طلب.
١١. سام الإنسانَ ذَلّاً أو خسفاً: أولاه إياه و أراده عليه.
١٢. الأغوار جمع الغَور: عمق الشئ و قعره.
١٣. استفزَّ: أثار و أزعج و استخفَّ.
١٤. الضاوى: النحيف و الدقيق. مستوفز: اسم الفاعل من استوفز: جلس على هيئة كأنه يريد القيام.
١٥. المهول: المخوف. الشادى: المُغَنِّى.
١٦. الطلل: ما بقى شاخصاً من آثار الديار.
١٧. الرزايا جمع الرزيئة أو الرزيَّة: المصيبة.
١٨. الطَّود: الجبل العظيم.
١٩. كؤود: شدة، صعبة المرتقى، الوخز: الطَّعنُ بسنِّ الرمح.
٢٠. الحتف: الهلاک، الهَزاهِز: تحريک البلايا والحروب للنّاس.
٢١. الأسى: الحزن.
٢٢. النواصى جمع الناصية: مقدَّمُ الرأس. المغوار: المقاتل الكثير الغارات.
٢٣. أجلت من أجالَ: جعله يجول، و ـ أداره، الحلبات جمع الحلبة: عدة من الخيل تجمع للسباق.
٢٤. القسور: الأسد، السوَّار: الوثَّاب.
٢٥. ضرع: ذلَّ و خضع. هو يغضى على القذى: يحتمل الذل و الضيم و لا يشكو.
٢٦. الأطمار جمع طِمر: الثوب الخلق.
٢٧. بزغت الشمس: طلعت و ظهرت، القِمة: أعلى كل شئ.
٢٨. الخافقان: أفق المشرق و أفق المغرب.
٢٩. المِقود: الحبل الذى تقاد به الدابة، خوار: مبالغة من الخور و هو الضعيف، أى القى الدهر إلى الممدوح (ع) زمام ضعيف يقوده حيث شاء فهو كالفرس الضعيف الذى لايقدر على الاستعصاء.

٣٠. الأجذار: جمع جذر.
٣١. یعشه من أعشی فلاناً: جَعَلَه أعشی.
٣٢. أدناس جمع الدَّنَس: الوسخ.
٣٣. المقالید جمع مقلاد: المفتاح.
٣٤. حادَ عن الشئ: مالَ عنه.
٣٥. العشواء: الناقة الضعیفة البصر.
٣٦. قرحت: جرحت.
٣٧. الغاشم: الظالم.
٣٨. عبل: ضخم، شمردل: ذوالأخلاق الحسنة.
٣٩. الترائب جمع التریبة: موضع القلادة.
٤٠. الغانیة: المرأة المستغنیة بحسنها عن الزینة.

المصادر

الأعلمی، حسین (١٤١٩ هـ.ق). *دیوان الإمام علی(ع)*، بیروت: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات.
الأمین، محسن (١٤٠٣ هـ.ق). *أعیان الشیعة*، المجلد التاسع، بیروت: دار التعارف للمطبوعات.
الأمینی، عبدالحسین بن أحمد (١٣٩٧ هـ.ق). *الغدیر*، المجلد الحادی عشر، ط ٤، بیروت: دار الکتب العربی.
التفریشی، مصطفی (١٤١٩هـ.ق). *نقد الرجال*، الجزءالرابع، بیروت: مؤسسة آل البیت لإحیاء التراث.
الشیخ البهایی، محمد حسین (١٣٦١هـ.ش). *دیوان*، بمقدمة استاذ سعید نفیسی، نشر چگامه.
الشیخ الصدوق، (١٤١٨هـ.ق). *الهدایة*، قم، مؤسسة الأمام الهادی.
صدرالدین المدنی، السَّیِّد علی (١٣٢٤هـ.ق). *سلافة العصر*، مصر.
صدرالدین المدنی، السیدعلی (١٣٨٨هـ.ش). *الحدائق الندیة فی شرح الفوائد الصمدیة*، تصحیح السید أبوالفضل سجادی، قم: منشورات ذوی القربی.
العلامة الخوانساری، میرزا محمدباقر (١٣٩٢هـ.ق). *روضات الجنات فی أحوال العلماء و السادات*، الجزء السابع، قم: مطبعة استوار.
العلامة المجلسی، (١٤٠٣ هـ.ق / ١٩٨٣ م). *بحار الأنوار*، الثانیة المصححة، بیروت: لبنان، مؤسسة الوفاء.
القرطبی، تفسیر القرطبی (١٤٠٥ هـ.ق). *دار إحیاء التراث العربی*، بیروت: مؤسسة التاریخ العربی.
مدرسیّ، محمدعلی (بلاتا). *ریحانة الأدب*، ط ٤، طهران: منشورات خیام.